

هذا الزمن الذي يتداعى في تضاداته ، الحرب — السلم ، الشظية — العراء ، هو الزمن الذي يفتح افق محاكمة الواقع ارتباطا بنقطة الدم التي تصل الشاعر بواقعه . « الدروب اليك حبل من دمي » . لكنه يعود من جديد الى محاكمة الواقع . فالزمن الفلسطيني ليس فقط ، زمنا فلسطينيا ، انه زمن عربي ، وحين لا يستطيع دسح الواقع العربي الى موته ، يحاكمه بحبل الدم وبإعادة النظر في مسلماته :

« أنا ضد القصيدة

غيرت حزن النبي ولم تغير حاجتي للأنبياء »

ثم تنكفيء القصيد على نفسها ، تلتف في محاولة لإعادة صياغة الحلم الفلسطيني ، تتمسك بالبديل — الارض . وتعيد شحنها بالواقع الجديد الاتي على ايقاع الثورة : « لي وجه يحاول ان يراني » .

بين صيغتي المتكلم والغائب ، تقع الفواصل التي يقيمها درويش لقصيدته ، انه ينتقل من صيغة الى اخرى ، يخاطب ويتأمل ، يخرج من ذاته ويمتد الى الحركة الخارجية بكل صيغها ، بصاور البحر والشجر والنخيل ، ثم يعود ليتوحد بالنحن . هنا ، نصل الى مسرح شعري متكامل ، يضحج بالابطسال والمواقف . لكن القصيد تختزل المواقف ، وترتكز على الحركة . الحركة الداخلية هي في حوار يستطيع ان يمزج عناصر الطبيعة بالذات ، وان يعيد رسم معادلة الخروج من الاسار الرومانسي الى العلاقات الواقعية . فالعلاقة بالارض ليست مباشرة ، انها تمر عبر الموت والانتحار . لذلك ليس هناك بداية او نهاية ، هناك حركة لا تنتهي . وهي الواقع لا يعني تجديده ، بل فهمه في حركته ، وحركته الى الامام لا تتوقف ولا تنتهي :

« أنا ضد العلاقة

ان تكون بداية الاشياء دائمة البداية

انا ضد النهاية

ان يكون الشيء اوله وآخره واذهب ... »

الايقاع داخل جدل الحوار

حين يتيم درويش مسرح قصيدته ، فانه يضع حركة ابطاله محطات تنكيء على مستويين : — البنية الموسيقية التي تستطيع الانتقال من ايقاع

المستقبل ، ويفتح مستقبله على فضاء شعري بغير مقدمات . هنا نجد الاصوات الدرويشية وهي تتدرج من المباشر الى الغامض ، من الخط المستقيم الى الحركة الداخلية التي توحد الخطوط حول اكثر من مفصل ولحظة . الغنائية تمتزج بالصوت الدرامي ، والسرد الشعري يخلط بالزمن المقبل ، ويصبح المكان الفلسطيني في مجاري المستقبل . انه ليس مكانا يحتله الغزاة ، انه نفي كامل للغزاة ، فيما هو محاولة لإعادة شحن المكان بالدلالات .

بين الصوتين المخاورين ، الشهيد والشاعر ، الشاعر والشاعر ، القصيد والشاعر ، تقع بنية القصيد التي لا تتقدم الا لتستعيد ثم تعود الى الورا حتى تتوحد بالنحن . نحن المستقبل الثوري الذي يصبح العاصفة والفعل المجرم . نحن مستقبل المكان وعنوان الزمن الجديد . لذلك يخاطبها ويفصل عنها ، يكتب القصيد ويحاكمها ، يرتديها ويخلص الزمن ، ثم يخلصها ويرتدي الزمن ثم يتوحد في لهب الشعر وقد ابتعد عن كونه جبرا ، ليصبح حريقة .

في شعره القادم من الاسوار ، كانت العلاقة بسيطة ، نحن وهم . نحن الذين اغتصب وطنهم ، وهم الغزاة الذين يدفعوننا الى الثورة . كان الخط المستقيم هو اطار المعادلة الغنائية ، المتساوية والحزينة . وفي هذه القصيد هناك نحن وهم . لكن التركيز هو على نحن على « الفرق بيني وبينني » في هذا الفرق تنقسم الذات الى متكلم وغائب ، ويأتي الانتحار مدخلا الى الوحدة التي تحيل الارض الى جزء من الانسان :

« وصرت أعلى من مدينتنا . أنا الشجر الوحيد

انا الشظايا والهدايا

ارتديك واخلع الايام ... »

من داخل الانتحار ، ترتفع التساؤلات ، ويحاول الشاعر محاكمة العالم من خلال محاكمته لشعره . يوحد الموضوع بالشكل ويسأل الواقع عن اجوبته . فالقصيد لا تزال في الخارج ، والجسد لا يزال في العراء : —

« أنا ضد المدنية

في زمان الحرب غطفتي الشظية

في زمان السلم غطائي العراء » .